بعد الأخاء والعداء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

حنوتُ على الود الذى كان بيننا ... وإن صَدَّ عنه ما جنينا على الود
حنوتُ ولو أنى حنوت وما حنا ... ولو أنه يبغى هلاكى من الحقد
ولا أكذِبَنَّ الناس قلبى كقلبه ... له آنة ميلٌ عن النصف والقصد
كلانا جنى شراً فعاد إخاؤنا ... محالاً حكى ذكرى الشباب على بُعْدِ
فيا طيب ذكراه وما بُعْد عهده ... وأين قديم الود من حاضر الصد
مضى حيث يمضى عابر بعد عابر ... من الأهل والأصحاب والذخر والولدِ
مضى حيث يمضى كل رأى ومذهب
له أجل كالناس ظعن بلا عَوْدِ
إذا أنا أنسيتُ الإساءة من أخ ... ذكرتُ له منى إساءة ذى عمد
وأيقنت لا ينسى عدائى وماجنى ... عدائى عليه من عناء ومن جهد
أيأتم الصخران فى اليمِّ بعدما ... تردد موج اليمِّ بالصدع والهد
ويتفق الخِلَّانِ من بعد ما بدت ... به بغضة من مين قول ومن نقد
وكنا على ما كان من قرب أنفس ... كنهرين فى وادى الغضارة والورد
قد اقتربا مجرى وماء وعسجدا ... من الشمس لألاء كلألأة الود
حياة شبابٍ عسجدٌ أىَّ عسجد ... وعهد إخاء لا يغيض ولا يُكْدِى
إلى أن دعا داعى الحياة وإنها ... فمال بنا قصد السبيل عن القصد
وغيَّرَ منا القلبَ والنفسَ والمُنَى ... وزاد طماحُ النفس بعداً على بعد
هو البغض مثل الحب لحظ فنطق ... فنار لها بين الأضالع كالوقد
وإن كنتَ تدرى الحب كيف طروقه
ولم تدره أيقنت ما جاء بالحقـــد
فيا ليت أنى قد غفرت جفاءه ... ونَبْوَتَهُ حتى يصد عن الصد
ويذكرلى صبرى على الضيم والأذى ... فيأسى على ما كان منه من الكيد
وتكسبنى منه الندامة ألفة ... وإن كان لى من قبل كالحجر الصلد
أعيش بصفو منه يوماً فإن جنى ... على إثرِهِ غدراً ذخرت له ودى
وأذكرُ نفسى منه عند انصرافها ... شمائل تستدعى التغيظَ إلى الحمد
أبعدَ بلالى العيش أبغى مُبَرَّأً ... وكيف ونفسى لى كما الضد الضد
يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجا
ومرأى رياضٍ من عرار ومن ورد
وأحسن منها البشر فى وجه صاحب ... حليفك منه ما استسر ولم يُبْدِ
فياليت لى دنيا أبيع حطامها ... بود أخٍ لو يشترى الود بالنقد
إذا الحب لم يخلص من البغض والأذى
فكيف خلاص الود من عنت الحقد
وخِلاَّننا مثل الجوارح أيهم ... فقدنا فبعض النفس فى ذلك الفقد
أحَقُّ طِلاَبُ الود من نقص طالب ... إذا قَنِعَتْ نشدانك الود بالحمد
لتكمل بالخل الذى أنت ناشد ... كما كَمُلَ النصفان تجمع فى العدد
ويا طيب قلب ضره الود حقبة ... كما عظُمَ المخدوع بالفضل والمجد
وإنك لا تدرى أقلب مراوغ ... أمرُّ أم القلب المُغَرَّرُ بالود
وإنَّ وداد المرء من بعض غنمِهِ ... ولو أنَّ مخلوف الوفا غاض لم يُجْدِ
تعيش بمخلوف الرجاء وكذبه ... فطامِنْ فإن الود يا قلب لم يُرْدِ
رحيق الحياة الود لو دام صفوه ... وكالخمر أصفاه المُعَتَّقُ ذو العهد
وأحسنه ما كان من عصرة الصِّبَى
ولم يَحْلُ بعد الشيب مُسْتَحْدَثُ الود
فمن لى بعود الدهر للود والصِّبَى ... أليفين ما كانا كما الند للند
يخال الصِّبَى ودا وود الصِّبَى صِبًى ... كيانهما الممزوج كالجوهر الفرد
وإن فقير الناس من خان خِلَّهُ ... وإن نال حظاً من طريفٍ ومن تلد
أأبغى إخاء لم تَشُبْهُ عداوةٌ ... وأتمم عفو الغدر أو غدرة العَمْدِ
كأنى لم أدرِ الأنام وخُلقه ... ولم أدرِ أن الضد يولع بالضد
أبَعْدَ فراغى من جنازة ودنا ... أروم خلود الود من عادم الخلد
متى أرتضى الخلان صحوا وغيمة ... فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى
أغالط نفسى فيهمُ وأغرها ... وإن لاح منهم غدر أعْدَأَى اللد
وأكتم من آلام نفسى عزةً ... إذا لم يُتَحْ لى ما أزيل به وجدى
فيا ساقىَ النسيان غاطِ صحابتى ... وهات لِىَ النسيان رقداً على رقد
وهيهات ما أمر إذا جد جده ... ليُذْنَى ولو واروه فى مُشْبِهِ اللحد
إذا انفلت السهم الطليق فما له ... ولو أنه سهم النميرىِّ من رد
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله ... ألا وهو الدهر المصَرِّفُ ذو الأيدِ

عبد الرحمن شكرى